بطريركية الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

مع وليد المذود

الأنبا موسى
الأسقف العام

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

مع وليد المذود

الأنبا موسى
الأسقف العام

مقدمة

أسئلة كثيرة تجول فى أذهان الشباب عن وليد المذود ، الطفل الإلهى ، الرب يسوع . ترى... كيف يكون المسيح إبن الله وإبن الإنسان فى آن واحد ؟ ولماذا إتخذ جسداً وحل بيننا ؟ ولماذا إختار هذا الوقت بالذات ودعاه « ملء الزمان » ؟

وتلك السلسة من الأسماء فى أنساب المسيح ، ماذا تعنى بالنسبة لإيماننا ؟ وبالنسبة لى أنا شخصياً ؟

وماذا عن جوقة الميلاد التى أشتركت فيها السماء مع الأرض ؟ وترنيمة الميلاد التى مازالت أصداؤها تهز وجداننا على مر السنين ؟

ألا يستدعى كل ذلك وقفة تأمل ، وصلاة وليد المذود ، مخلص البشر ؟

بين يديك أيها القارىء الحبيب تأملات بسيطة فى الميلاد ، إقرأها وإشبع بالمولود الإلهى ، وإسجد أمامه خشوعاً وحباً مع الرعاة والمجوس ، فيجعل الرب هذه الصفحات ذات فائدة لنا بصلوات أبينا البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث...

ونعمة الرب تشملنا جميعاً ؛

الأنبا موسى
الأسقف العام

١

ميلادين للسيد المسيح

للسيد المسيح ـ له المجد ـ ميلادان : الأول قبل كل الدهور، وهو ميلاده من الآب ، كولادة النور من النار. وهذا الميلاد مذكور فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا : «فى البدء ـ أى منذ الأزل ـ كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله» (يو١: ١). والكلمة **Logos** تختلف عن **Word**. وأحياناً يعبرون عنها بـ **Word within** ، **Word Without** أى : الكلمة المعقولة الخفية ، الكلمة المنطوقة المعلنة .

والرب يسوع ، أقنوم الإبن ، هو الكلمة المعقولة الخفية ، هو الحكمة الإلهية. أما الميلاد الثانى فهو الذى تحدثت عنه الأناجيل (مت ١ ، ٢ ، لو١ ، ٢ ، يو١: ١ ـ ١٨)... حين «صار الكلمة جسداً» أو بتعبير أدق «حين إتخذ الكلمة جسداً» حسب المنع القبطى ⲁϥϭⲓ ⲥⲁⲣⲝ ، وتعنى عدم التغير والصيرورة ولكن مجرد إتخاذ اللاهوت لجسد ، أو إتحاده بناسوت كامل ، ما خلا الخطية وحدها .

ترى ... ماذ يعنى كل ميلاد منهما ؟

الميلاد الأزلى ...

إلهنا العظيم جوهر واحد وثلاثة أقانيم ... حيث الجوهر يعنى تفرد الله بسمات وكمالات خاصة يختلف فيها عن جوهر الطبيعة البشرية المحدودة القاصرة، أو جوهر أى كائن آخر على وجه الأرض أو فى أى موقع بالكون.

أما الأقنوم *Hypostasis* فهو يعنى «خاصية ذاتيه - فى هذا الجوهر الإلهى - بدونها لا يقوم الجوهر». فإلهنا فيه ثلاثة خواص ذاتية أساسية لقيام جوهره وهى:

١ - خاصية الذات الإلهية ... فهو كائن بذات فريدة خاصة به.

٢ - خاصية الحكمة الإلهية ... فهو مهندس الكون الأعظم، الذى يسوس الموجودات بحكمته الفائقة، والذى منح الإنسان العقل.

٣ - خاصية الحياة الإلهية ... فهو سر الحياة فى الكون، ومانح الحياة كيف لا يكون حياً؟!

كل ما فى الأمر أننا إستخدمنا ألفاظاً أخرى للتعبير عن هذه الأقانيم أو الخصائص الذاتية أو الركائز إن جاز هذا التعبير (*Hypo* = تحت، *Stasis* = قائم) ... فهى الركائز الإلهية التى بها يقوم الجوهر الإلهى ... نقول إننا إستخدمنا ألفاظاً أخرى بدل الأولى:

الذات الإلهية + الحكمة الإلهية - الحياة الإلهية = إله واحد

الآب + الإبن + الروح القدس = إله واحد

ولكن لماذا هذه الألفاظ والتسميات الأخرى :

لماذا تدعو الذات الإلهية أباً ...

والحكمة الإلهية ابناً ...

والحياة الإلهية روحاً ؟

لأسباب بسيطة جداً :

١ ـ الذات أصل الكيان والوجود ، دعيت آباً وليس أباً وهى كلمة
سريانية تعنى الأصل ، لأن الله أصل الكائنات كلها .

٢ ـ والحكمة هى القوة المفكرة فى الكيان ، وكل ما ينبع منه تابع من الكيان ، كولادة النور من النار ، أو ولادة الكلمة المنطوقة من الكلمة المعقولة ، وهى ولادة روحانية سامية وليست حسية أو جسدانية ، كما نقول إبن النيل أو إبن مصر ، أى يحمل سمات كل من ولد على ضفاف النيل وإستظل بسماء مصر .

٣ ـ أما الحياة فندعوها روحاً ... وهى التعبير اليومى إذ نقول عن إنسان ما فاضت روحه الطاهرة ، أى خرجت نسمة الحياة منه .

+ + +

من هنا نقول أن السيد المسيح « مولود من الآب قبل كل الدهور» (قانون الإيمان)، أى أن أقنومه هو أقنوم الفكر والحكمة فى الجوهر الإلهى. وولادته من الآب ولادة روحانية سامية، وليست حسية أو جسدانية، كولادة النور من النار:

١ - فالجوهر واحد : النار والنور ... « أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠).

٢ - والإتحاد بينهما صميمى، لا يمكن فصلهما (النار فى النور والنور فى النار... يستحيل فصلهما... « الآب فىَّ وأنا فى الآب» (يو١٠: ٣٨)، « الآب الحال فىَّ هو يعمل الأعمال» (يو١٤: ١٠).

٣ - ولا يوجد فارق زمنى بينهما ... هل ظهور النار سبق ظهور النور... أما أنهما ظهرا فى نفس الجزء من الثانية ؟

كذلك فالآب لم يسبق الإبن كما يحدث فى البشر، فتلك ولادة روحية، وهذه ولادة جسدية. بل إن الإنسان يمكن أن يكون أباً وإبناً فى آن واحد، أو أن يحمل خاصية الأبوة والبنوة كامنتين فى داخل نفسه.

+ + +

الربط بين الميلادين ...

ربط معلمنا يوحنا بين الميلادين ، فبعد أن قال «في البدء كان الكلمة» (يو١ : ١) قال : «والكلمة صار جسداً وحل بيننا» (يو١ : ١٨) . وكذلك معلمنا بولس حين قال : «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه» (عب ١ : ١ ، ٢) .

ذلك لأن «الله روح» (يو ٤ : ٢٤) ، والإنسان روح وجسد ، لذلك رأى الله أن يتجسد ، ليتحد بطبيعتنا ، ونتحد نحن به [أحد الذي لنا ، وأعطانا الذي له] (لقديس أثناسيوس) . وهكذا لبس جسدنا ما خلا الخطية ، فصرنا بذلك «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١ : ٤) .

الإبن ، الحكمة الإلهية ، بالتجسد ، إختزل المسافة بين الإلهي والإنساني ، بين السماء والأرض ، بين الزمن والأبدية ، وهذا الأمر يفوق العقول ، لكنه معقول . بمعنى أن كيفية حدوثه سر فائق ، ولكن إمكانية حدوثه أمر يمكن إدراكه ، إذ ما أسهل أن يتنازل الكبير إلى الصغير ، ولكن ما أعسر العكس . ما أسهل أن يتجسد الإله القادر على كل شيء ، ويتخذ جسداً بلا خطية ، يلتحف به ، ويخفي وراءه سر لاهوته ، وما أصعب أن يشترك الإنسان الساقط في الطبيعة الإلهية ، ما لم يأتِ الفادي ويسدد ديونه ، ويجدد طبيعته ، ويجعله قادراً بنعمته على الإتحاد بالله والتسامي إلى فوق .

مثال بسيط ...

البالون الفارغ من الهواء الثقيل ومنجذب للأرض ، يستحيل أن يطير فى الهواء إلى أعلى . ولكن حينما تملأ البالون بالهواء ، يطير فى الهواء ، و يتخلص من جاذبية التراب ، و يتسامى إلى فوق .

هكذا أجسادنا الكثيفة الخاطئة تشدنا إلى أسفل ، ولكن سكنى الله فينا ، تتسامى بنا ، وتعطينا إمكانية الصعود إلى فوق ، بنعمة روحه العامل فينا .

+ + +

الميلاد الزمنى ...

وهكذا لما جاء « ملء الزمان » (غل ٤ : ٤) ، أى الوقت المناسب والمعين من قبل الله ، تجسد أقنوم الكلمة ، وحل بيننا . ولا شك أن كل التاريخ قبل التجسد ، إنما كان يخدم التجسد ، لهذا فقد إنقسم التاريخ إلى حقبتين : قبل الميلاد (ق . م) ، و بعد الميلاد (ب . م) .

نعم فلكى يولد السيد المسيح ، كان لا بد أن يولد من عذراء طهور ، وليس من زوجين ، كى لا يصير له أب بشرى وهو إبن الله .

وهذه العذراء كان لا بد من أن تكون منتمية إلى شعب ما... شعب بني إسرائيل. لهذا إختارهم الرب وطهرهم بالنار من عبادة الأصنام، ليتجسد من إحدى عذاراهم، وهو إختيار زمني مجرد أن يولد من سلالاتهم، ولكنه ليس إختياراً أبدياً أو خلاصياً، فلا خلاص إلاّ بالإيمان بالمسيح، سواء لليهود أو للأمم.

كما أن الرب أعد العالم لمجيئه بأسلوب فائق الحكمة... وبعد أن جهز كل شيء: العالم، والعذراء، تجسد من مريم ليعلمنا، ويخلصنا، ويتحد بنا، ونتحد به... له كل المجد.

٢

مـلء الزمـــــان

« لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله إبنه ، مولوداً من إمرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس ، لننال التبنى »

(غل ٤ : ٤ ، ٥) .

حنين قديم ...

منذ أن سقط أبونا آدم ، وهناك حنين قديم ، سواء فى قلب الله المحب ، المشتاق لخلاص الإنسان ، أو فى قلب الإنسان الساقط ، المشتاق إلى خلاص الله .

الله لم يكف عن السعى لتدبير خلاص الإنسان . فلقد أخذ تلك المسئولية الجسيمة على عاتقه ، من فرط حبه ، إذ كيف يسمح الله بهلاك صنعة يديه ؟! هذه هزيمة منكرة أمام الشيطان . إذن فليسامح الرب آدم !!! هذا حل قاصر، يغفر لآدم خطاياه الماضية دون أن يجدد طبيعته لتنتصر على الخطية . فلقد تلوثت الطبيعة البشرية ، ولمهم تطهيرها وخلقتها من جديد . وليس مجرد غفران الماضى .

وأين عدل الله ؟ إن كان الله سيسامح آدم وهو الذى حذره قائلاً : «يوم تأكل منها ... موتاً تموت» (تك ٢ : ١٧) . المحبة ستأخذ حقها بالغفران ، ولكن العدل - هو أحد الكمالات الإلهية - سيظل معطلاً ، لم يأخذ حقه ، ولم يبرز وجوده .

إذن ، فليتجسد الكلمة ، لكى بلاهوته يصير بلا خطية ، وغير محدود ، وقادر على الفداء ، وبناسوته يصير نائباً عن البشرية ، يموت بدلاً منها ، ويقوم ويقيمها معه .

من هنا رسم الرب تدبيراً ضخماً وطويلاً لخلاص الإنسان ... فما هو؟

التدبير الإلهى للخلاص ...

١ - الكلمة المنطوقة ...

بدأ الرب مع آدم بالكلمة المنطوقة فى صورتين :

أ - التحذير والوصية : « يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ١٧) .

ب - الوعد والنبوة : إذ قال للحية : « أضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحقُ رأسك ، وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) .

ولا شك أنه كانت هناك أحاديث مستفيضة بين الله وأبوينا الأولين، داخل الجنة وخارجها. فالله طرد آدم من الجنة من فرط حبه، لئلا يأكل من شجرة الحياة، فيحيا إلى الأبد فى خطيته. لقد أجّل ذلك لما بعد الفداء، وأعطانا جسده ودمه شجرة حياة جديدة.

ومستمر الرب يستخدم أسلوب « لتقليد الشفاهى » مع آبائنا على التوالى... مع أسلوب « الكفارة بدم الذبائح ».

٢ - تجديد الأرض ...

وفى أيام نوح رأى الله أن تجديد الأرض درس هام للبشرية على التوالى: وعمل هام من أجل تجديد خلقة الإنسان وروحه، فى صورة محاولات بشرية لإرضاء الله، إنتظاراً للمخلص الفادى.

وبينما الطوفان فى أوج جبروته يملأ قلب الإنسان القديم رعباً من الله، ومخافة من قضائه، إذ بالرب يفتح قلبه الرحيم فيُطلع نوح على حنانه الثابت، وتظهر علامة « قوس قزح » فى السحاب تذكيراً لنا بحكم الله، ومراحمه التى تفتخر على قضائه.

٣ - إختيار الشعب ...

ثم إختار الرب إبراهيم، وأعطاه نسلاً من ابنه إسحق، وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد الأسباط، وصار بنو إسرائيل شعباً كبيراً،

رعاهم الرب رعاية خاصة فيها يظهر حب الله للإنسان، فها هو يطعمهم فى البرية، ويفجر لهم الماء من الصخرة، ويقودهم بعمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً، وتعاظم لا تبلى، وقصرتهم على مقاتليهم مضمونة... إلخ. وذلك كله لا يتعارض مع عدل الله الذى أراد أن يطهرهم من عبادة الأصنام فإستخدم مع البشر - وهم فى بدائية وطفولة فى طريق الروح - آلاف كثيرة، كالحروب والأوبئة والحيات والكوارث المختلفة، حتى يحفر فى قلوبهم الإحساس بوجود الخالق، معطى الحياة، وقائد البشرية إلى ما ينفعها وينميها.

وإستمر الرب يتعامل مع بنى إسرائيل فى موجات متتابعة من البشر، وفى أساليب متشابهة من التعامل. مرة ينتصرون وأخرى ينهزمون... مرة يستريحون ومرة يتعبون... مرة يملكون وأخرى يستعبدون لأمم غريبة... كلها محاولات ترويض لقلب البشرى الغليظ، حتى يتأهل بعد تطهيره من الوثنية، أن تولد فيه عذراء طهور، تصير إناء للتجسد، ومعملاً لإتحاد الطبيعتين فى طبيعة واحدة.

٤ - الناموس المكتوب ...

أرسل الرب هو - من خلال موسى النبى - ناموساً مكتوباً، ووصايا مجددة، وتعاليم فيها ما ينمى الروح: كوصايا عبادة الله والأعياد والذبائح، وفيها ما ينمى الجسد:

كالوصايا الخاصة ببرص الجسد ، وبرص الحائط ... إلخ ، وفيها ما ينمي النفس : كإطلاق العبيد العبرانيين بعد ست سنوات .

ولكن الناموس بكل وصاياه وتحذيراته لم يكن سوى مرآة كشفت للإنسان صورته الساقطة ، أو كمجس دخل إلى أعماق الطبيعة الإنسانية وأخرج ما فيها من شرور وانحرافات إلى دائرة النور... وهكذا يقول الرسول : « هل الناموس خطية ؟ حاشا... بل لم أعرف الخطية إلاَّ بالناموس ؛ فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته » (رو٧ : ٧) . فلقد كشف الناموس الخطية الكامنة فينا . وهكذا سقطنا تحت حكم الناموس إذ يقول : « إن أجرة الخطية هي موت » (رو٦ : ٢٣) .

إذن ، « فلماذا الناموس ؟ » (غل ٣ : ١٩) ... « قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له به... كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان » (غل ٣ : ٢٤) . أي أن الناموس حين كشف لنا خطايانا ، كشف لنا عجزنا عن الخلاص بإمكانياتنا . وهكذا جعلنا نصرخ منتظرين المخلص أي المسيح . فلما جاء وخلصنا ، ارتمينا في حضنه ، طالبين منه الغفران ، والتطهير ، والتقديس ، في خليقة جديدة مخلوقة « بحسب الله في البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢٤) .

٥ ـ الأنبياء ...

وأرسل الرب أنبياء كثيرين ، كانوا على صلة وثيقة به ، وكانت رسالتهم :

أ ـ أن يعلموا الشعب كلام الله .
ب ـ وأن يخبروا الشعب بأحكام الله عليهم .
جـ ـ وأن يتنبأوا بمجيء المخلص .

وهكذا وردت فى الأنبياء عشرات بل ومئات النبوات الخاصة بميلاد المسيح وخدمته ورفض اليهود له وصلبه وقيامته وصعوده . وما أصدق قول القديس أغسطينوس : [إن العهد القديم مكشوف فى العهد الجديد ، والعهد الجديد مخبوء فى العهد القديم] . ويكفينا ونحن فى معرض الميلاد أن نذكر نبوتى أشعياء :

+ « ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل »
(أش ٧ : ١٤) .

+ « يولد لنا ولد ، ونعطى إبناً ، وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى إسمه عجيباً مشيراً ، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام »
(أش ٩ : ٦) .

إنه ليس مجرد ولد ، ولكنه الإله القدير وقد إتخذ شكل إنسان ،

خلاصاً للإنسان... «عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ تى ٣: ١٦).

٦ ـ أشواق البشر ...

عبر أشعياء النبى عن أشواق البشر للخلاص بقوله: «ليتك تشق السموات وتنزل» (أش ٦٤: ١)، كما عبر أيوب الصديق عن شوقه للمخلص بقوله: «ليس بيننا مصالح يضع يده على كينا» (أى ٩: ٣٣). وعبر فلاسفة الأمم عن نفس الإشتياق من خلال فلسفاتهم واباطيرهم وأشعارهم... فكان الكل ينتظر المخلص.

٧ ـ اعداد مسرح العالم للتجسد ...

ثم أعد الرب مسرح العالم لمجيء إبنه متجسداً فى صورة إنسان فمثلاً:

أ ـ تمت ترجمة التوراة من العبرية (لغة يهود فلسطين المتعصبين) إلى اليونانية (اللغة العالمية آنذاك) وهى السماه بالسبعينية!

ب ـ صار العالم لسان واحد أساسى (اليونانية) بسبب فتوحات الإسكندر الأكبر.

جـ ـ عبّد الرومان ـ رجال الحرب والقوة ـ طرقاً طويلة تعبر القارات ، وأمّنوها بجنودهم وحراسهم ، مما سهل للرسل عملية الكرازة بالإنجيل .

د ـ ظهر فلاسفة اليونان الداعين إلى المثاليات والتسامى . وتم رفضهم رغم إعجاب العالم بفكرهم ، فقد كانوا « أنبياء الوثنية » حسب تعبير القديس كليمندس الإسكندرى .

هـ ـ حتى المجوس ـ فى بلاد المشرق ـ كانوا يتطلعون إلى النجوم فى إنتظار ملك اليهود ، ونجمه الفريد ، على أساس نبوة بلعام ، ... وبالأكثر تحديدات نبوة دانيال .

وهكذا كان العالم كله يتوق إلى يوم الخلاص ، وإلى شخص المخلص ، وهذا هو « ملء الزمان » ... أى اليوم المناسب للتجسد من العذراء الطاهرة ، فى شعب طهره بالنار من عبادة الأصنام وفى عالم ممتلأ شوقاً لمجيء المخلص .

ويدعون إسمه

عمـــانوئيل

الذى تفسيره **الله مـــعنا**

(٣)

أنساب المسيح ...
أين أنا منها؟

« وداود الملك ولد سليمان، من التي لأوريا »
(مت ١ : ٦)

ماذا تعني سلسلة الأنساب ؛ التي أوردها الإنجيل مرتين ؛ الأولى في إنجيل معلمنا متى (١ : ١- ١٧) والثانية في إنجيل معلمنا لوقا (٣ : ٢٣- ٣٨) ؟ إنها سلسلة طويلة من الأسماء الصعبة، فلماذا أوردها الإنجيل ؟ الأسباب كثيرة، وهذه بعضها :

١ - المسيح ابن الإنسان ...

وهذا ما ركز عليه معلمنا لوقا، الذي كتب إنجيله لليونانيين، أي للأمم... هؤلاء يحبون أن يروا مخلصهم - الرب يسوع - إنساناً للإنسانية، يتقدم من عندها، ومن نفسها. لذلك أورد معلمنا لوقا نسب السيد المسيح حتى آدم... أب البشرية كلها. وكم كان هذا مفيداً وبناءً لنفسية أمم، حين يروا أن مخلصهم جاء من وسطهم، من لحمهم ودمهم، وإن كان بلا خطية.

٢ - المسيح ... إبن داود ...

وهذا ما ركز عليه معلمنا متى ، فقد كتب إنجيله لليهود ، الذين يهمهم أن يعرفوا أن المسيا المنتظر، مخلص البشر، هو إبن داود حسب النبوات العديدة التى وردت فى توراتهم . وبالفعل... أورد معلمنا متى النسب إبتداء من إبراهيم -الأب الأول لليهود- وحتى داود- الملك المرموق فى تاريخهم- ثم إسترسل حتى وصل إلى يوسف رجل مريم... الذى خطبها خطبة شرعية لتكون فى حصانته ، دون نية الزواج الفعلى بدليل تعجب العذراء من رسالة الملاك أنها ستلد»وقولها «لست أعرف رجلاً» مع أنها كانت مخطوبة ليوسف ، فهو يعنى الإرتباط الشرعى دون الزواج الفعلى .

٣ - المسيح ... مخلص الخطاه ...

وردت فى سلسلة أنساب المسيح أسماء نسوة منسوب إليهن الضعف وأحياناً الخطية والسقوط ... فمثلاً «ثامار» كانت رمزاً للضعف حيث أنها -رغم فوت السنين- ظلت تطالب بحقها فى الزواج الثالث بعد موت الزوجين الأولين... ولما أهملها يهوذا ولم يعطها إبنه الثالث ، أجبرته على الزواج منها حيلة نقرأها فى تكوين (٣٨) . ومع أن هذا حقها القانونى ، إلا أن الأسلوب فيه إرتباط بالحسيات والزمن وما إلى ذلك .

أما « التى لأوريا » وإسمها بتشبع ، فكانت تحت ضغط وإغراء حقاً ، ولكنها ضعفت أمام داود الملك ، ولم تكن أمينة لزوجها أوريا الحثى (أنظر ٢ صم ١١) .

وكذلك **راحاب** ... وأى إسم آخر ... إنما هو بالقطع محاط بالضعف ، وساقط فى الخطية سواء اجنبية أو الفعلية ... لكن شكراً للرب أنه لا يخجل من ضعفنا ، ولا يرذلنا من أجل خطايانا ، بل أنه إتحد بنا ليخلصنا ، وجاء من نسل بشريتنا ليكون خير شفيع لها .

إن الرب يسوع مستعد أن يولد فى قلبى رغم ضعفاتى وخطاياى وميولى المنحرفة ... مستعد أن يدخل الى مذود حياتى رغم ما فيه من شهوات بهيمية ... ذلك لأنه المحبة ، ولأنه الخلاص .

٤ ـ المسيح ... مخلص الأمم ...

وفى سلسلة الأنساب نقرأ إسم **راعوث** الأممية التى لم تكن من شعب الله القديم ، ولكن الرب أدخلها فى عداد أسبابه ، ليؤكد لنا أنه مسيح العالم كله ... مسيح الأمم . ألم يكن هو الذى أوصى تلاميذه قائلاً : « إذهبوا ، وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) ، « إكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) ، « تكونون لى شهوداً فى أورشليم ، وكل اليهودية ، والسامرة ، وإلى أقصى الأرض » (أع ١ : ٨) ؟

+ + +

ملاحظات على سلسلتي الأنساب ...

تبقى بعض الملاحظات المختصرة غير المعتمدة على سلسلتي الأنساب كما وردتا في إنجيلي متى ولوقا ... وهي :

١ ـ معلمنا متى بدأ من إبراهيم ونزل إلى يوسف ... مثبتاً أن يسوع هو إبن داود ، لأنه كتب لليهود وهذا ما يهمهم . أما معلمنا لوقا فأورد النسب تصاعدياً من يوسف حتى آدم ، لأنه كتب للأمم يهمهم أن يكون المخلص للعالم أجمع .

٢ ـ معلمنا متى أورد ٤٠ إسماً حتى إلى يوسف ، بينما أورد معلمنا لوقا ٧٣ إسماً (حيث ريسا ـ في أرجح الآراء ـ معناها الرئيس ، جاءت لقباً لزربابل) .

٣ ـ معلمنا متى أسقط بعض الأسماء ليجعل من كل مجموعة ١٤ جيلاً ليسهل حفظها (حسب طريقة اليهود) . وليلتزم بالسباعيات (رقم الكمال عندهم) .

٤ ـ بعد داود أخذ معلمنا متى النسب من إبنه سليمان ، بينما أخذ معلمنا لوقا النسب من إبنه ناثان .

٥ ـ متشات (في لوقا) هو نفسه متان (في متى) ... ومعروف أنه في اليونانية مثلاً تتغير نهاية الإسم حسب موقعه وإعرابه .

٦ - إنتهى معلمنا متى إلى يعقوب (والد يوسف الشرعي) بينما إنتهى لوقا إلى هالى (والد يوسف الفعلي) ... إذ أنه لما مات يعقوب دون نسل، أخذ هالى زوجته وأقام نسلاً على إسم أخيه، حسب قوانين اليهود.

٧ - يرى البعض أن معلمنا متى ذكر أنساب يوسف البار، بينما ذكر معلمنا لوقا أنساب مريم العذراء... **وكثيراً** ما تعود اليهود أن يذكروا إسم الزوج الشرعي بدلاً من قرينته.

+ + +

غاية الأمر أن الرب يسوع جاء إبناً للإنسانية كلها، وإبناً لنسل داود، تحقيقاً للنبوات المتعددة التي وعدتنا به مخلصاً للبشرية من ورطتها الخطيرة والمهلكة... فهل أنا ضمن هذه البشرية المفتداة؟ وهل صار الرب مخلصاً يومياً لحياتي من شرور وإرتباكات ومشاكل هذا الزمان؟ وهل ولد المسيح في قلبي، مطهراً إياي من كل خطاياي؟

نور الإعلان للأمم

(٤)

جـــوقة المـــيلاد

« وظهر بغتة مع الملاك .. جمهور من الجند السماوى » (لو ٢ : ١٣) .

تتكون جوقة الميلادة من عناصر عدة ؛ بعضها سماوى ، والآخر أرضى ، مما يؤكد الثمرة الأولى لتجسد المسيح وهى إلتحام السماء بالأرض ، وعبور الفجوة الشاسعة بين عالم السمائيين بطهرهم ، وعالم الأرضيين بخطاياهم . إنها معجزة الميلاد المبهرة ، والتى تنفرد بها المسيحية ، حيث يتنازل الله إلينا ، ليعالج ضعفنا ، ويخلص طبيعتنا من الفساد ، ثم يحملنا على أجنحة النور ، ويأتى بنا إلى حضرته المقدسة .

أما عناصر الجوقة الميلادية فهى :

١ ـ الملائكة ...

ملاك يبشر العذراء ، وآخر يقود يوسف ، وجوقة كجمهور تبشير بالمولود الإلهى : « ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، أنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب » (لو٢ : ١٠ ، ١١) . ثم أعطى الملاك العلامة للرعاة ، ليصلوا إلى المولود المعجزة ، مخلص العالم . ثم رفعوا ترنيمتهم الخالدة .

ولا شك أن السماء وسكانها قد رنموا خلاص نحن البشر، فهناك رابطة خفية تربط بيننا وبينهم، فهم الملائكة القديسون، الذى جازوا بنجاح فرصة إختبارهم، ورفضوا طريق الشيطان، وإستمروا يخدمون الرب ويتممون مقاصده عبر الزمان.

بل أن الملائكة كانوا يعانون من سطوة الشيطان فى العالم، وعلى أرواح الموتى فى الجحيم، قبل الصليب، لدرجة أن الشيطان عاق ملاكاً عن عمله فى العهد القديم، ولكنه إنتصر عليه بقوة الرب ومعونة رئيس الملائكة ميخائيل (دا ١٠ : ١٣).

وهكذا كان الخلاص، عمصاً للجميع، وكان الخلاص فرحة للسمائيين والأرضيين... ومازال السمائيون يفرحون بتوبة خاطىء واحد!

٢ - الرعـــاة ...

جاءوا من باديتهم (رمز الفقر والجفاف)، ومن ليلهم (رمز الظلام الروحى الذى ساد العالم قبل أن يأتى نور العالم)، ومن سهرهم (رمز إنتظار المخلص والحنين للقيادة)... جاءوا ببساطتهم وفقرهم (رمز الفقر الروحى للبشرية)... جاءوا ليسجدوا للطفل المعجزة «الولد» و«الإبن» الذى صار «إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام» (أش ٩ : ٦).

ولا شك أنهم كيهود كانوا ينتظرون المخلص حسب وعد : « وأنت يا بيت لحم... لست الصغرى بين رؤساء يهوذا... لأن منك يخرج مدبر يرعى بيت إسرائيل » (ميخا ٥ : ٢) (مت ٢ : ٦).

٣ ـ المجـــوس

وهؤلاء كانوا يتأملون النجوم فى دراسة لمخلوقات الله أقرب إلى التعبد... وقد ملأت رؤسهم نبوة بعام : « أراه... ولكن ليس الآن. أبصره... ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب من يعقوب، و يقوم قضيب من إسرائيل... و يتسلط الذى من يعقوب » (عد ٢٤ : ٧، ١٩). أخذوا يرقبون النجوم، إنتظاراً لذلك الكوكب، الذى سيعلن ميلاد الملك.

كما أن المجوس كانوا ينتظرون تحقيق نبوة دانيال، قبل الميلاد بخمسة قرون، حيث حدد فيها، وبدقة نبوية مذهلة، موعد ميلاد المخلص حين قال : « إنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم و بنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع، واثنان وستون إسبوعاً... و بعدها يقطع المسيح (أى يُصلب)... و يثبت عهداً مع كثيرين » (دانيال ٩ : ٢٥ـ ٢٧)... حيث الأسبوع سبع سنوات.

ومع أن هدايا المجوس كانت على ثلاثة أنواع : ذهباً (إشارة للملك المسيح) ولباناً (إشارة لكهنوته) ومراً (إشارة لآلامه

الفدائية)... إلا أن عدد المجوس كان ـ حسب أرجح الآراء ـ ضخماً، يقرب من مئات. ذلك لأن أورشليم كانت مدينة سياحية يدخلها أجانب من أنحاء الأرض فى الأعياد لتقديم الذبائح (الأمم المتهودون)... فما كان من المعقول أن تهتز، ومعها ملكها هيرودس، من دخول ثلاثة رجال أغراب. وإن كان البعض يرى أن الهزة كانت بسبب كلامهم عن نجم ظهر، وملك ولد.

المهم أن اليهود علموا من كتبهم بموعد، ومكان الميلاد، وأرشدوا المجوس (الأمم) إليه، ولكنهم لم يذهبوا هم. وهكذا فى كل جيل. المسيح المخلص قد ولد، ولكن أناساً أحبوا العالم الحاضر كهيرودس فاضطربوا لميلاده، وآخرين أحبوا مجد الناس كرؤساء الكهنة فلم يتحركوا لرؤيته. لكن الرب يبشر العالم كله، لأنه أحب العالم كله، بميلاد خلاصى هو لى أنا وحدى، كما أنه للبشرية كلها!

٤ ـ الأسرة المقدسة ...

العذراء ... بصمتها العملاق، حيث كانت تكتم البشرى حتى عن يوسف، وتحفظ جميع هذه الأقوال متفكرة بها فى قلبها. العذراء... بتواضعها الفائق الذى جعلها لا تطلب زواجاً ولا أولاداً مع أن الكل تسابقوا لذلك لعل لسبا يكون من نسلهم. ولما حكمت على نفسها أنها لا تستحق أن يأتى المسيح من أحشائها، أختارها الرب لذلك، وملأها نعمة، وقدس أحشاءها، وسكن فى باطنها، إعلاناً

أنه يحب المتواضعين، وهو مستعد أن يسكن فى داخلهم.

يوسف، برزانته الفائقة، لم يرد أن يشهرها، وأراد تخليتها سراً... ولكنه إنتظر مشورة السماء، وأطاعها بكل قلبه. فإستحق أن يصير خادماً لسر الخلاص، وحارساً لمختن الإلهى. وفى كل خطواته كان ينقاد برأى السماء: «أهرب إلى مصر»... «إذهب إلى أرض إسرائيل»... لكن إرخيلاوس سيكون كهيرودس يدوب... «حسناً... إذهب إلى الناصرة».

٥ ـ الكـــون كله ...

+ السنجوم ... أرسلت نجماً يمثلها ... وكذلك للملائكة والبشر ...
+ والحيوانات ... أحاطت بالمولود الذى يطعمها ...
+ والنباتات ... ملأت المذود طعاماً لكل من فيه ...

وهكذا إنتشرت أنغام الميلاد فى فرحة عارمة شملت كل العالمين... وفاح أريج بشراء العطر، فأسعد الخليقة طراً.

+ + +

وهكذا حول وليد المذود الإلهى ... إلتف كل هؤلاء ... يصنعون السجود والثناء... و ينشدون تسبيح السماء... فى جوقة شاملة نادرة الوجود... لأنها شملت كل الوجود.

٥

ترنيمــة الميــلاد

« المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة »
(لو ٢ : ١٤) .

صرخت الملائكة بهذه الترنيمة الخالدة ، لتى تلخص لنا بركات الميلاد فى حياتنا ، وهى :

١ - بركة معرفة الله ...

فبالرغم من أن الله يسكن فى « نور لا يدنى منه » (١ تى ٦ : ١٦) ، وأنه قال : « الإنسان لا يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) ، إلا أنه بالميلاد تنازل إلينا ، « وحل بيننا ... ورأينا مجده » (يو ١ : ١٤) . فالتجسد الإلهى هو إختزال فريد للمسافة الشاسعة بين مجد الله فى الأعالى ، وبين إتضاع الله حين نزل إلينا .

وما أمجد الله فى الأعالى !!! فما المقصود يا ترى « بالأعالى » ؟ إن كان العلماء - بعد التقدم المذهل فى علوم الفضاء - لم يصلوا إلا إلى النذر اليسير من أسرار هذا الكون ، وأسرار مكوناته ! فنحن نعلم مثلاً أن الأرض كوكب صغير ، يدور حول الشمس ، وحول نفسه ، وعلى

زاوية محددة هى السبب فى إختلاف الفصول . والقمر يدور حول الأرض ، والشمس تتحرك ... والكل يتحرك ... والكل ملتهب ... ولكن قوانين الهندس الأعظم تضبطها جميعاً فلا تتصادم ولا تتغير سرعتها . ولو أن الأرض مالت قليلاً نحو الشمس ... لأحترقت وأحترقنا معها .

وهكذا إكتشف العلماء إن هذه المجموعة الشمسة هى إحدى ملايين المجموعات فى مجرّة ، هى إحدى ملايين المجرات . فما الإنسان إذن ؟ مجرد جرثومة صغيرة على ذرة رمل تجوب أنحاء الفضاء الهائل .

ولكننا فى المسيح تعرفنا على الله ... تماماً كما يُجسّد المصباح طبيعة الكهرباء وإمكانياتها المذهلة ... المصباح يضيء ، والمسجل يسجل ، والميكروفون يكبر الصوت ، والمروحة تلطف الجو ، والكاميرا تصور ... إنها تجليات للكهرباء غير المنظورة وغير الممكن لمسها . فكم بالحرى إلهنا العظيم ، غير المدرك ، الضباب الإلهى المقدس ، كيف يمكن لإنسانيتنا أن تتعرف عليه ، دون أن يتجسد ليصير قريباً منا ؟ وهكذا كمعلم صالح نزل إلى إتضاعنا وبساطتنا ليُعرّفنا بذاته : « الله لم يره أحد قط ... الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب (أى قابع فيه حتى العمق ، فهو الحكمة الإلهية أو العقل الإلهى) ... هو خبّر » (يو١ : ١٨) .

٢ ـ بركة السلام على الأرض ...

والسلام هنا ليس سلاماً حسياً ، فالإنسان هو الإنسان ما لم يأخذ فعل الخلاص فى ذاته . إنه سلام داخلى عميق ، فيه رصانة لا تذبل ، ورصيد لا ينقص ، واستمرارية لا تنقطع . « وليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو١٤ : ٢٧) . نعم ... فالسلام المسيحى لا يبدأ بعد إنتهاء التجربة ، بل إنه يتجلى خلالها ، ويتألق ونحن بعد فى عمق الألم . لهذا قال الرسول : « أفرح فى آلامى » (كو١ : ٢٤) ، ذلك لأنه كان يشعر أن لله يعمل فيه ويقدسه ويحفظه ويعطيه من خلال الألم . وهو فى سلام بسبب النتائج ، ويتحمل آلام التجارب بشكر كالمريض بين يدى الطبيب .

هذا هو السلام ... ضالة الإنسانية المنشودة . السلام الذى يحفظ القلب والفكر ثابتا فى المسيح (فى ٤ : ٧) . ويحفظ الأسرة فى ترابط ووحدة كاملة ، والمجتمعات ـ لو أطاعت صوت الله ـ فى هدوء وصفاء ومحبة .

٣ ـ بركة سرور الله بنا ...

نعم ... فالله بعد التجسد والفداء صار مسروراً بنا « بالناس المسرة » أى مسرتى هى بالناس ... فلقد إنقشع الضباب الذى كان بيننا ، وتم الصلح الكامل بين الإله العادل والبشرية الساقطة ، وصار

الإنسان هيكلاً للروح القدس «أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح فيكم إن لم تكونوا مرفوضين» (٢ كو ١٣: ٥)، «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كو٣: ١٦)؟

إذن، فها قد رجع آدم إلى الفردوس المفقود، ليس على مستوى جنة أو أشجار، بل على مستوى إتحاد بالله، إنه فردوس الحضرة الإلهية الدائمة، وشركة الطبيعة الإلهية. وها قد عاد الرب ليقول: «لذتي مع بني آدم» (أم٨: ٣١).

+ + +

شكراً لرب الميلاد، طفل المذود الإلهي، من أجل هذه البركة المثلثة التي تجعلنا نصرخ في كل قداس إلهي: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» (لو٢: ١٤).

فليكن هذا نصيبنا من الميلاد ... حتى لا يفلت منا المصيب!!

يطلب من

+ مكتبة الشـــباب ..

بطريركية الاقباط الارثوذكس بالقاهرة

+ سائر المكتبات المســيحية ..